الاضمحلال وما بعد الإنسانوية

زعزع تيار ما بعد الحداثة مكانة الإنسان، وأزاحه عن مركز العالم والوجود، ولم تعد الثقة بالعقل أداة لمعرفة الحقيقة راسخة ومحسومة، كما صُوِّرت الحرية غاية مثالية لحالمين واهمين، فأول ما ابتغى تيارُ ما بعد الحداثة نسف شعار التنوير.

وشـــهدت الســـاحة المعاصـــرة ازدهـــارًا ملحوظًـــا للتيارات الفلسفية المنتقدة للنزعة الإنسانية، كان القاسم المشترك بينها هو هيمنة روح التقويض والتفكيك.

كما ظهرت الإنسانوية المتحولة ranshumanism تمييزًا لها عن ما بعد الإنسانوية Posthumanism التي جعلها بعضهم الأيديولوجية الموجِّهة لتقنيات الإنسانوية المتحولة ورمزها (H+).

هذا التحول هدفه تغيير حالة الإنسان وتغيير خلقته باستدماج التقنيات المتطورة فيه كآليات الذكاء الاصطناعي والهندسة الوراثية وغيرها مما قد ينشأ عنه كائن آخر مختلف وهو إنسان "فائق" حسب النظرية التطورية قد يقضي على الإنسان الحالي أو على الأقل يسيطر عليه ويتحكم فيه.

فالإنسانوية سارت بمقولة تجاوز الإنسان إلى نهاياتها القصوى وزادت تأكيد مرحلة العدمية، فهذه النزعة لم تؤدِّ إلا إلى المزيد من استعباد الإنسان واعتباره كينونة لا تتمتع بالحرية والكرامة.

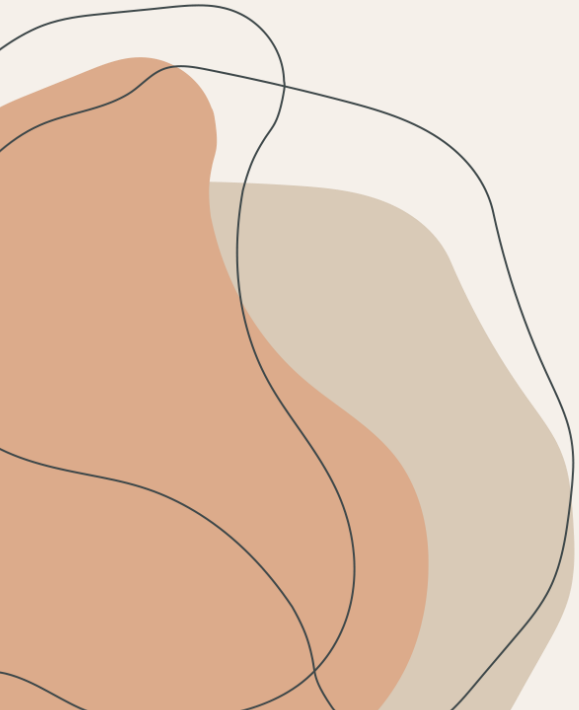

ومن خلال معاينة سيل من المعطيات المعاصرة يستطيع المرء أن يدرك بسهولة الأزمة التي يعانيها الفكر الغربي ويعيشها الإنسان المعاصر، وقد تبلورت هذه الأزمة من خلال طبيعة الحياة الغربية المعاصرة، وحشود الشهادات التي أدلى بها عدد ليس قليل من مفكري الغرب.

الفصل الثالث:
الإنسانوية في ميزان الدين

من مرتكزات الإنسانوية التي تدعي لنفسها احتكارَها: تعظيم الإنسان، والإحسان إلى البشر، والإتقان في صناعة الحياة.

والإنسانويون لا ينطلقون في انتحال تعظيم هذه القيم من دِين مُنزل أو مرجعية متجاوزة، وإنما يبنون قيمهم على نظريات فلسفية كنظرية الحق الطبيعي وحتمية الصيرورة التاريخية.

الفضائل التي تنتحلها الإنسانوية المعاصرة وتحتكرها ليست من إبداعهم، بل ما كان فيها من خير فهو مسبوق بما جاء به الدين، وخاتم الأديان والمهيمن عليها هو الإسلام، وهذا مثبت بصريح دلائل نصوص الوحيين، وبشروح أئمة الإسلام المتقدمين.

فالإسلام دين الكون ومبدأ نظامه، فقد وُجد الإسلام قبل الإنسان.

وخلق الله الناس لعبادته جل وعلا وهو الغني عنهم، فالغرض الذي لأجله أوجد الإنسان أن يعبد الله ويخلفه وينصره ويعمر أرضه.

وقد عرض الله على الإنسان حمل الأمانة فحملها.

النتيجة

حقيقة الغاية من الخلق وتحمُّل الإنسان للأمانة تنقض مقررات الإنسانوية من أن وجود الإنسان على الأرض صدفة، وأنه لا خالق ولا نُبوَّات ولا وحي ولا تكليف ولا جزاء.

تكريم الإنسان في الإسلام

جاءت قصة خلق آدم أبي البشر في عدة مواضع من القرآن، واللفظ المفرد (الإنسان) جاء في القرآن أكثر من خمسين مرة، كما جاء لفظ (الناس) في أكثر من مئتين وثلاثين موضعًا، و(أناسيّ) في موضع واحد، و(أُناس) في خمسة مواضع، وجاء ذكر (بني آدم) في سبعة مواضع في الكتاب العزيز.

الناظر في النصوص الشرعية يجد أن لله عز وجل في نداء الإنسان وتسميته باعتبار النسبة ثلاثة أحوال:

١. أن ينسبه إلى جبلِّته وطبيعته الخلقية، فيسمِّيه (الإنسان).

٢. أن ينسبه إلى أبيه، فيسمِّيه (ابن آدم) و (بني آدم).

٣. أن ينسبه إليه تعالى فيسمِّيه (عبدًا) أو (عبدي) أو (عبادي)، وهذه تكون غالبًا في سياق المحبة الإلهية للمؤمنين.

التكريم الإلهي للإنسان جاء في القرآن على وجوهٍ عِدّة، منها:

الوجه الأول:

خلق الله سبحانه لآدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر ملائكته بالسجود له.

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأ مَّسْنُون فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِين}.

الوجه الثاني:

إحسان خلقته وصورته.

قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِين}.

الوجه الثالث:

تخصيصه بالتكريم من بين المخلوقات.

فقد جعل الإنسان سلالة العالم وزبدته، وهو المخصوص بالكرامة، وما سواه كالمعونة له، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا}.

الوجه الرابع:

الإقسام به ولا يقسم سبحانه إلا بعظيم.

قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}.

الوجه الخامس:

الامتنان عليه بالعقل والتعليم.

قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}.

الوجه السادس:

تسخير الكون له.

وورد هذا المعنى في مواضع كثيرة بألفاظ أخرى بمعنى التسخير، قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ}، فإنشاء كل هذا إنما هو{لَّكُمْ} لا لغيركم، فالمستفيد منه بالقصد الأول إنما هم الخلق، والإنسان خاصة.